(قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ [104]) هذا انتقال من محاجة المشركين وإثبات الوحدانية ﷲ بالربوبية من قوله (إن اﷲ فالق الحب والنوى إلى قوله وهو اللطيف الخبير) . فاستؤنف الكلام بتوجيه خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام مقول لفعل أمر بالقول في أول الجملة حذف على الشائع من حذف القول للقرينة في قوله (وما أنا عليكم بحفيظ) . ومناسبة وقوع هذا الاستئناف عقب الكلام المسوق إليهم من اﷲ تعالى أنه كالتوقيف والشرح والفذلكة للكلام السابق فيقدر : قل يا محمد قد جاءكم بصائر .

وبصائر جمع بصيرة ؛ والبصيرة : العقل الذي تظهر به المعاني والحقائق كما أن البصر إدراك العين الذي تتجلى به الاجسام وأطلقت البصائر على ما هو سبب فيها .

وإسناد المجيء إلى البصائر استعارة للحصول في عقولهم شبه بمجيء شيء كان غائبا تنويها بشأن ما حصل عندهم بأنه كالشيء الغائب المتوقع مجيئه كقوله تعالى (جاء الحق وزهق الباطل) . وخلو فعل (جاء) عن علامة التأنيث مع أن فاعله جمع مؤنث لأن الفعل المسند إلى جمع تكسير مطلقا أو جمع مؤنث يجوز اقترانه بتاء التأنيث وخلوه عنها .

و (من) ابتدائية تتعلق (بجاء) أو صفة ل (بصائر) وقد جعل خطاب اﷲ بها بمنزلة ابتداء السير من جانبه تعالى وهو منزه عن المكان والزمان فالابتداء مجاز لغوي أو هو مجاز بالحذف بتقدير : من إرادة ربكم . والمقصود التنويه بهذه التعاليم والذكريات التي بها البصائر والحث على العمل بها لأنها مسداة إليهم ممن لا يقع في هديه خلل ولا خطأ مع ما في ذكر الرب وإضافته من تربية المهابة وتقوية داعي العمل بهذه البصائر .

ولذلك فرع عليه قوله (فمن أبصر فلنفسه) أي فلا عذر لكم في الاستمرار على الضلال بعد هذه البصائر ولا فائدة لغيركم فيها (فمن أبصر فلنفسه أبصر) أي من علم الحق فقد علم علما ينفع نفسه (ومن عمي) أي ضل عن الحق فقد ضل ضلالا وزره على نفسه .

فاستعير الإبصار في قوله (أبصر) للعلم بالحق والعمل به لأن المهتدي بهذا الهدي الوارد من اﷲ بمنزلة الذي نور له الطريق بالبدر أو غيره فأبصره وسار فيه وبهذا الاعتبار يجوز أن يكون (أبصر) تمثيلا موجزا ضمن فيه تشبيه هيئة المرشد إلى الحق إذا عمل بما أرشد به بهيئة المبصر إذا انتفع ببصره .

واستعير العمى في قوله (عمي) للمكابرة والاستمرار على الضلال بعد حصول ما شأنه أن يقلعه لأن المكابر بعد ذلك كالأعمى لا ينتفع بإنارة طريق ولا بهدي هاد خريت . ويجوز اعتبار

التمثيلية فيه أيضا كاعتبارها في ضده السابق .

واستعمل اللام في الأول استعارة للنفع لدلالتها على الملك وإنما يملك الشيء النافع المدخر للنوائب واستعيرت (على) في الثاني للضر والتبعة لان الشيء الضار ثقيل على صاحبه يكلفه تعبا وهو كالحمل الموضوع على ظهره وهذا معروف في الكلام البليغ . قال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه) وقال (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) وقال (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) ولأجل ذلك سمي الإثم وزرا كما تقدم في قوله تعالى (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) وقد جاء اللام في موضع (على) في بعض الآيات كقوله تعالى (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) .

وفي الآية محسن جناس الاشتقاق بين (البصائر) و (أبصر) وملاحظة مناسبة في الإبصار والبصائر . وفيها محسن المطابقة بين قوله (أبصر) و (عمي) وبين (اللام) و (على) .

ويتعلق قوله (لنفسه) بمحذوف دل عليه فعل الشرط . وتقديره : فمن أبصر فلنفسه أبصر . واقترن الجواب بالفاء نظرا لصدره إذ كان اسما مجرورا وهو غير صالح لأن يلي أداة الشرط .

A E